سلطان فقد ظله

جورج وسوف

«حتى ازيك مستكترها مابيقولهاش» جملة كانت أبع وأشهر جمل الغناء العربى فى الثمانينيات من القرن العشرين من أغنية «اللى تعبنا سنين فى هواه.. عامل نفسه مايعرفناش..» وتحولت إلى النشيد الرسمى لكل مطربى العرب لفترة طويلة.

صاحب الأغنية الأصلى هو المطرب المعتزل محمد رؤوف. أما لحنها فهو لشاكر شعيشع من أسرة الموسيقار محمد الموجى وهاجر إلى أوروبا، ثم إلى المغرب العربى والتقى بالمطرب الصبى الصاعد جورج وسوف وأعاد تقديم اللحن فطار إلى السموات العربية ورددها المستمعون على اختلاف ثقافتهم.

كان جورج وسوف مطربا صغير السن. صوته مازال يحمل ملامح الطفولة لكنه متمكن فى الأداء الكلاسيكى فيعطى انطباعا بأنه مطرب كبير من مدرسة الغناء الجبلى الجميل الذى كنا نسمعه من وديع الصافى ونصرى شمس الدين فى لبنان.

ولد جورج وسوف فى قرية «الكفرون» غرب مدينة حمص بسوريا يوم ٢٣ديسمبر ١٩٦١ والده هو وديع وسوف شاعر كان يتمتع بروح دعابة جميلة أما وسوف «فهو اسم قديم لتمثال «الإله» فى العصور القديمة». ووالدة جورج هى فرحة الصّدى صاحبة صوت جميل.

حفظ جورج مواويل سورية من والده ولم يكن عمره قد بلغ أربع سنوات وكانت المواويل هى الأساس الذى انطلق منه جورج إلى عالم الغناء. فى واحدة من الحفلات التى كانت تقيمها المدرسة غنى التلميذ جورج واحد من مواويل والده «سألتها من وين قالت: من حاصبيّا.. ولما عمزت أمها.. حاص بيا.. ولما جيتها بالليل.. حس بيا.. أتارى الملعون بعد وماغفى».

كانت هى المرة الأولى التى يصعد فيها جورج للغناء على المسرح. وكان من بين الجمهور منتج فنى استهواه الصوت فسجله على كاسيت. وسجل له أغنية «ماما يا ماما وأنا مسافر» وطبع على كاسيت وطرحه فى الاسواق.

أطلق الجمهور على جورج وسوف لقب «السورى الصغير» وقبل أن يبلغ سن الرابعة عشرة كانت شهرته قد ملأت الأفاق السورية من خلال موال والده، فترك مدرسته وسافر من حمص إلى دمشق ليغنى كمطرب من الدرجة الثانية فى مطعم «الحديقة الخضراء» لكن نقابة الموسيقى فى دمشق لم تتركه فى حاله وأمرت بمنعه من الغناء حسب القانون الذى يمنع من هم دون سن الثامنة عشرة من الغناء. احتج جورج فقالوا له «ارجع إلى حضن أمك.. لساك ولد صغير» توسط له عند النقابة واحد من الجمهور الذى أعجب بصوته. وكان حجته أن صوت جورج أكبر من سنه. فسمحت له النقابة بالعمل وكثرت عقوده فى العاصمة السورية.

لم يكن جورج قد تجاوز السادسة عشرة. وتلقى عرضا للغناء فى لبنان، فوافق على الفور. وهناك كثرت عقوده أيضا ليغنى فى فنادق الخمس نجوم، وفى ملاهيها الليلية.

تحمس لصوت جورج وسوف كل من الفنان جورج يزبك وقدم له ألحانه والفنان وديع الصافى أيضا.. كان جمهور جورج يتتبع خطاه أينما يغنى. من فنادق عالية إلى كازينوهات بيروت. وأطلقوا عليه لقب الطفل المعجزة.. ليكون لقبه الثانى بعد «السورى الصغير».

كان جورج يغنى لأم كلثوم ووديع الصافى وعبد الحليم حافظ ما قرب إليه الجماهير أكثر ثم بدأت أغنياته الخاصة «الحبايب» و «دقيت على الأبواب» و «حلف القمر» و «بتعاتبنى على كلمة» ولحن هذه الأغنيات بليغ حمدى وسيد مكاوى وزهير غيساوى ونور الملاح وشاكر الموجى صاحب الأغنية الأشهر فى تلك المرحلة «اللى تعبنا سنين فى هواه»

أصبح جورج وسوف مطربا شهيرا فى المنطقة العربية. واستحق اللقب الثالث «سلطان الطرب» وغنى فى أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا فى عام ١٩٨٥ أحيا حفلات ضمن مهرجان قرطاج بتونس حضره ١٥ألف مستمع.

فى باريس، التقى مع واحدة من جمهور حفلاته هى شاليمار. وتكررت اللقاءات بينهما وربط الحب قلبيهما، فطلبها للزواج لكن أسرتها رفضت فتزوجا فى مكتب للزواج المدنى وكان عمره ٢١ سنة وعادت أسرة الزوجة للاعتراف بالزيجة بعد أن تأكد لها أن جورج جاد، وله قلب طيب انعكس على معاملته لزوجته وأسرتها. وأنجب جورج وشاليمار ثلاثة أبناء وديع-

وحاتم- وجورج جونيور. وكعادة أهل الشام أصبح اللقب المفضل عند سلطان الطرب هو «أبو وديع».

أصيب جورج بمرض فى فخذيه لايصيب إلا كبار السن. وأجريت له جراحة فى إحدى مستشفيات فلوريدا بولاية ميامى بالولايات المتحدة الأمريكية فلما عاد إلى بيروت، كان فى انتظاره فى المطار أعداد هائلة من الجماهير لتهنئته بنجاح الجراحة وقبل أن يصل كانت قد انتشرت إشاعة بأنه توفى أثناءها.

واصل أبو وديع التألق وأحيا مهرجانى جرش الأردنى وقرطاج التونسى ٢٠٠١، ثم افتتح كازينو خاصا به فى لبنان أطلق عليه «الوسوف كلوب» حقق نجاحا كبيرا فى موسمه الأول.

لم يقطع جورج علاقته بمسقط رأسه قرية كفرون السورية. واعتاد أن يحتفل بعيد ميلاده هناك كل عام. وفى إحدى هذه الاحتفالات قدم له عشاق فنه على موقعه هدية عبارة عن أغنية بعنوان «سلطان زمانك» كلمات جوانا وألحان رانيا أداء أنور.

كان جورج فى مدينة ستوكهولم السويدية. يوم ٢نوفمبر ٢٠٠٨، ونشرت إحدى الصحف المحلية هناك أن الشرطة قبضت عليه وبحوزته ٣٠ جرام من مخدر الكوكايين قبل صعوده لإحياء حفل قرب المدينة وتم إلغاء الحفل ثم ظهرت براءة جورج واعتبر ذلك ضمن مؤامرة للتشويش على حفلة فى السويد.

تعرض جورج وسوف لإشاعات وأقوال تفيد بإدمانه لأنواع من المخدرات. ومن يراقب حركاته فسوف يجدها غير متوازنة. ومن السهل الشك بأنه مدمن أى نوع من الإدمان أقلها الخمر ومن يتأمل التغيير الذى حدث فى طريقة نطقه اللغة وأسلوبه فى الغناء وأن لهجته الغنائية قد تغيرت وسلطنته الدائمة المبالغ فيها. وبطء حركة التكلم وظهوره فى صورة من فقد ظله على المسرح، يمكن أن يصدق إدمانه.

حتى عام ٢٠٠٨ كان صدر لجورج ١٤ ألبوما لم يصور فيها على طريقة الفيديو كليب إلا واحدة هى «أنا أسف» من ألبومه «طبيب جراح» الذى صدر عام ١٩٩٩. وقد أرجع سبب عدم حبه للفيديو كليب إلى أنه لا يحب التمثيل. فهو يزيّف شخصيته. كما أن معظم أغنياته باللهجة المصرية العامة.

وهذه قائمة بألبومات جورج وسوف حتى عام ٢٠٠٨ومحتوياتها:

- الهوى سلطان: وقد صور عام ١٩٨٤ ويتضمن أغنيات: «الهوى سلطان- حلف القمر- قوللى ولاتخبيش- روحى يانسمة- الحبايب».
- اوعدينى: صور ١٩٩٢ ويتضمن أغنيات: «اوعدينى- لو نويت- روح الروح- بتعاتبنى على كلمة- جرحونا- اسمعينى بكلمة- سلمتلك بيد الله».
- شىء غريب: صدر ١٩٩٣ ويتضمن أغنيات: «شئ غريب- غلابة- ويا القدر- صياد الطيور- الحب الشاطر- الغالى».
- كلام الناس: صدر١٩٩٤ ويتضمن أغنيات: «كلام الناس- الحب الأولانى- حارمنا- لويوعدنى الهوى- حبيبى كده- بياعين الهوى».
- ليل العاشقين: صدر عام ١٩٩٦ ويتضمن أغنيات: «ارضى بالنصيب- ليل العاشقين- الكلمة الحلوة- آه حبايب- حد ينسى قلبه- لعب الهوى».
- لسه الدنيا بخير: صدر١٩٩٨ ويتضمن أغنيات: «الحب الكبير- ياللى جمالك- ومشينا ياحبيبى- العوازل- ياعينى آه- لسه الدنيا بخير».
- طبيب جراح: صدر١٩٩٩ ويتضمن أغنيات: «طبيب جراح- حبيبى والزمن- كل يوم- لوكل عاشق- تخسر رهانك- أنا آسف».
- دول مش حبايب: صدر عام٢٠٠٠ ويتضمن أغنيات: «أناراضى بالسهر- كده كفاية- ماتقولوا ليه- دول مش حبايب- لعبة نظر- عشاق آخر زمن».
- زمن العجايب: صدر عام٢٠٠١ ويتضمن أغنيات: «يوم الوداع- كلنا مجاريح- العاشق مننا- ليه تهربى- للهوى أحكام- زمن العجايب».
- أنت غيرهم: صدر ٢٠٠٢ ويتضمن أغنيات: «أنت غيرهم- قلب العاشق دليله- حبيت أرمى الشباك- روحوله وأسألوه- الفُرقة صعبة- باسم الحب الجميل».
- سلف ودين: صدر عام ٢٠٠٣ ويتضمن أغنيات: «سلف ودين - صابر وراضى - اسكت بتفكر بالناس - حبك جميل» .
- اتأخرت كتير: صدر عام ٢٠٠٤ ويتضمن أغنيات: «قول الكلمتين - سيبهم - اتأخرت كتير - خدنى الحنين - سهرت الليل».

- هبة الأيام صدر عام ٢٠٠٦ ويتضمن أغنيات «غدر الناس – هبة الأيام – ليلة وداعنا– مستنى منى ايه – حنينك حنينى – خسرت كل الناس – بستنى باليوم واليومين – الزمن دوار».
- كلامك يا حبيبى: صدر عام ٢٠٠٨ ويتضمن أغنيات «علم قلبى الشوق– كلامك ياحبيبى– سبت الدنيا– يا نجوم الليل– آدى اللى كانوا– أصعب قرار».

طبيب جراح

قد يكون المطرب جورج وسوف من قلائل المطربين الذين يميلون للغناء الكلاسيكى بشكله المعروف. فهو لم يلجأ إلى الزخرفة فى الشكل الموسيقى. ولا الكلمات الساخنة ولا يحب الالتزام «التلاميذى» فى الأداء.

أغنية «طبيب جراح» فيها كل المواصفات ونكاد لا نكون مبالغين إذا قلنا أن من يستمع إلى هذه الأغنية له كل الحق فى أن يتخيل إنها من إنتاج الستينيات من القرن الماضى، بل قبل ذلك لولا أن المطرب الشاب كان فى ذلك التاريخ البعيد لم يولد بعد.

كلمات الأغنية من تأليف صفوح شغالة وهى تدور حول الأطباء المعالجين وهم أحوج الناس إلى العلاج. والفكرة تقليدية وجاءت فى كثير من الأغانى العربية. والمواويل لكن البداية التى اختارها المؤلف جميلة يقول فيها:

طبيب جراح قلوب الناس أداويها
ياما جراح سهرت الليل أداريها

شافونى وقالوا متهنى.. من كتر الفرح بيغنى.. تعالوا واسألوا عنى.. أنا اللى بيا جراح.. أطبا الكون ماتشفينى.

والمذهب يصلح كموال، وأعتقد أن جورج وسوف قد مال لاختياره لأنه صادف هوى نفسه وهو محب للغناء التقليدى والمؤدى الجيد للموال الذى أصبح المستمع الباحث عنه كمن يبحث عن إبرة فى كومة قش.

ولكن المؤلف لم يحافظ على المستوى الذى بدأ به أغنيته وانزلق بسرعة إلى الشكل المكرر والتقليدى والاصطلاحات الغنائية المتوارثة فى الغناء العربى، فيقول فى الكوبليه الأول:

يا عاشقين قلبى.. زى الغريب بقاله زمان
ياناسيين حبى.. نسيتوا إزاى حبى اللى كان

ثم تصل التقليدية فى كتابة الأغنية إلى أعلى درجاتها فى جملة «فين الوعود.. فين العهود.. فين المحبة والحنان» وهى جملة لاتخل عشر أغنيات من تراثنا منها.

ثم يعود المؤلف للمستوى الجيد الذى بدأ به الأغنية فيقول فى الكوبليه الثانى منها: «ياما قسيت ياما.. صمتى مرار ضحكى أنين. وفى مرارة الصمت وأنين الضحك.. صورتان جميلتان يستحق عليهما الثناء.

واللحن شاكر الموجى. موهوب آخر من أسرة محمد الموجى وصاحب أكثر من لحن ناجح. وقد يكون سببا مباشرا لشهرة جورج وسوف بلحنه الشهير «حتى ازيك مستكترها مابيقلهاش» ومطلعه «اللى شغلنا سنين بهواه»

تمسك الموجى بالشكل التقليدى للألحان العربية فاختار مقاما شرقيا هو «البياتى» وهو من المقامات الأساسية للموسيقى العربية وقد هجره ملحنو العصر لطبيعته الشرقية واحتوائه على ثلاثة أرباع المقام. وهى النغمة التى تحتاج من الصوت المغنى إلى درجة عالية من الكفاءة لم تعد موجودة بكثرة.

ولم تتوقف تقليدية اللحن- وهذا يحسب له- على اختيار المقام إنما اتبع الملحن فيه التحويلات من مقام إلى مقام مثلما كان يفعل أباؤنا الملحنون. فمذهب الأغنية من مقام البياتى ومطلع الكوبليه الأول والثانى من مقام «السيكا» والجملة الكلامية التقليدية «فين الوعود.. فين العهود» من مقام النهاوند . ثم تأتى نهاية كل كوبليه من مقام البياتى تمهيدا للرجوع إلى مقام المذهب.

هذه التحويلات لم تعد موجودة إلا فى أغانى جورج وسوف المحب للغناء القديم. والقادر على أداء اللون التطريبى الشجى التراثى.

وربما يكون ملحن الأغنية قد أراد أن يعلن عن انتمائه إلى أسرة محمد الموجى رائد الأسرة الموجية فى أغنية «مشغول وحياتك مشغول» لعبد الحليم حافظ وقد عزفت فى شكل أدليب موزون «مرتم» أى إن الدرامز كآلة إيقاعية قد عزفت مع الوتريات وكأنها آلة وليست أداة إيقاع. بعدها عزفت آلة الكمان جملة منفردة من مقام البياتى على إيقاع «الواحد الكبير» أى الإيقاع البطئ دون زخرفة. ثم عزفت الوتريات الجملة نفسها وراء آلة الكمان. لتعود هذه الآلة الدقيقة لعزف تقاسيم حرة. أى موال دون غناء من مقام البياتى لزوم سلطنة المطرب. وتأذن له بالدخول فى الغناء «مازورة» واحدة من الوتريات بمصاحبة الدرامز.

بين المذهب والكوبليه الأول جملة موسيقية أو «لزمة» تعاد بين الكوبليهين الأول والثانى. وتعزفها معا آلتا البيانو وآلة نفخ كهربائية. وهى من مقام البياتى.

ثم يتحول النغم إلى مقام «السيكا» بنقلة لحنية جميلة وبسيطة يبدأ بعدها غناء الكوبيله الأول ثم الثانى من مقام السيكا ثم يتحول إلى مقام «النهاوند» بتأثره العاطفى الشجى فى جملة «فين الوعود..» ويعود إلى المذهب. وتكرر ذلك فى الكوبليه الثانى وتنتهى بعده الأغنية.

وإذا كنا نشكو من خلط الأوراق فى موضوع التوزيع الموسيقى لأغانينا الحديثة وكثيرون لايفرقون بين «التوزيع.. والتنفيذ» بل إن بعض الموسيقيين يصرون على كتابة «توزيع» على أعمال لم يوزعوها إنما عزفوها فقط. فإن المنفذ لأغنية «طبيب جراح» لم يشر المنتج إلى اسمه لاموزعا ولا منفذا. وهذه هى الأخرى ظاهرة تراثية كانت موجودة فى أغانى «زمان» فمعظمنا لايعرف من نفذ الأغنيات الشهيرة التى مازلنا نغنيها لرواد الغناء العربى. ومع ذلك فالمنفذ قد وضع أكثر من صورة للزخرفة الموسيقية للأغنية ويضعها فى العادة الموزع الموسيقى. وهى فى أغنيتنا جميلة ومعبرة ومريحة.

ثم نصل إلى بطل الأغنية. والمطرب فى الأغنية التقليدية هو صاحبها وله يرجع أيضا النجاح أو الفشل. فكل عناصر الأغنية تسعى لإظهار الصوت القادر فى أحسن صورة.

وجورج وسوف مطرب متمكن يجمع بين الغناء الكلاسيكى القديم المعروف فى العالم العربى. وبين السمات الخاصة للصوت الجبلى اللبنانى من حيث القوة. قوة الصوت الرجولى الضخم. وهو يميل دائما للمواويل لأداء الآهات الشجية. وكأن صوته قد ضبط على موجة من الطرب وقد انفرد بهذه الخاصية عن باقى جيله من المطربين. وصفق له جمهور المستمعين فى عصر ارتفعت الشكوى فيه من أن الجمهور لم يعد يتقبل الغناء «الثقيل» أو الكلاسيكى أو التراثى.

إن جورج وسوف يقدم لنا أغنيات جميلة انحدرت إليه وإلينا من النصف الثانى من القرن العشرين فتذكرنا بأيام الفن الجميل. وأغنية «طبيب جراح» واحدة من هذه الأغنيات على رغم أنها ظهرت فى العام ٢٠٠١.

دول مش حبايب

من المعروف عن المطرب جورج وسوف. إنه يعيش فى حالة شجن دائم فى كل أغانيه.

وإمكاناته الصوتية قادرة على صنع هذا المناخ الشجى. والبيئة اللبنانية تكسبه لهجة جبلية فى الغناء لكنها تختلف عن لهجة من سبقوه مثل وديع الصافى. ونصرى شمس الدين. والمطرب السورى فهد بلان.

جورج يوظف الظروف التى عاشها وعشقها لصنع ملامح غنائية مختلفة لاتعتمد أساسا على أداء الموال الذى برز فيه غيره من الأصوات الجبلية.لكنه يحب الغناء الموقع الذى يعتمد أساسًا على الإيقاع.

والإيقاعات من أغانى جورج فى المرحلة التى يعيشها حاليا ليست دائما حية. أوسريعة إنما هادئة. مختلفة عن كل أغانى العصر. فهو يميل للغناء على «الواحدة» الكبيرة يعنى إيقاع حادى الإبل فى الصحراء. وأكثر الإيقاعات استخداما فى أغانى جورج هو «الصعيدى» وهو متوسط السرعة فهو ليس بالبطئ وليس بالسريع، لكنه يعطى الفرصة للغناء «القاعد» المرتاح الذى يمكنه من أداء «العُرب» الشرقية والآهات الجبلية بين الجمل اللحنية وأغنية «دول مش حبايب» لاتخرج عن الخط الذى يميل إليه جورج. فالإيقاع أيضا صعيدى. وإن كانت تجنح فى بدايتها إلى الواحدة الكبيرة. وبعض الزخرفة الإيقاعية.

ومن الصعب على أى ملحن أن يستعمل جملا لحنية تتميز بالحدة فى هذا المناخ الغنائى الذى يفضله جورج وسوف . وعلى ذلك فإن معظم الجمل اللحنية المستعملة «فى الأذن» وهو اصطلاح نطلقه على الجمل المسموعة من قبل. أو على السكة اللحنية التى سبق أن سار فيها ملحن أو ملحنون.

لحن الأغنية شاكر الموجى لكن شاكر لم يستطع الإفلات من «المود» الذى يغنى فيه جورج.فوضع لحنا مستساغا فى الآذان واللحن من مذهب وكوبلهين، لم يخرج أى منهما عن مقام «الكرد» الذى أصبح أشهر من الإسبرين والهامبورجر، فمعظم أغانى العصر لاتخرج عنه وكل صوت «يصوره» أى يغنيه من الطبقة التى تناسب مساحته الصوتية.

يبدأ اللحن بمقدمة موسيقية من جملتين، الأولى متقطعة من جمل صغيرة. يعنى «بستكاتو» بدون قوس بعدها جملة لحنية إيقاعية بهدف إبراز طعم ولون وشخصية الشكل الإيقاعى للأغنية. يتخللها صوت جيتار فى «مازورة» واحدة. أى فى وحدة موسيقية لا تزيد مدة عزفها على ثانيتين لترد عليها آلات الكمان بصوت متقطع بدون قوس إنما بأصابع العازفين يقال عنها «بستكاتو» أو نبر.

فـى مطلـع الأغنية جملة كلامية هى «ياعمرى آه ياقلبـى إنس.. دول مش حبايب دول ياما لسه» ربما تكون أجمل «نغمة» من هذه الأغنية. بل ربما أيضا تكون أجمل «معنى» إذ أن باقى كلمات الأغنية وقد كتبها نبيل أفيونى لاتحمل جيدا. إنما هى تجمع لكليشهات الأغانى الكلاسيكية فيقول فى بقية المذهب:

«ناويـين علينا حاجات غريبة.. وأنت كلك حنان وطيبة.. والناس ع الطيب.. بتعيب.. لاتستغرب ولا تستعجب.. أدى الزمان إللى احنا فيه...».

وكـم هو جميـل أن تعكس أغنية شـعبية حالة النـاس والحياة وضياع الحـب والوفاء والأخـلاق. وهو لون من الفن الشـعبى يحبه المسـتمعون ويقبلون عليـه. لكن حبذا لو أن المؤلف قد استخدم إصطلاحات جديدة. ومفردات مستحدثة.

الموسـيقى بـين المذهب والكوبليه الأول. هى نفسـها بين الكوبليـه الأول والثانى وهى موسـيقى شـعبية راقصة مسـموعة فى الأذن كثيرا. لكنها تنتهى بمازورة واحدة عهد بها الملحن لغناء الكوبليه. هذه المازورة فيها حدة ولها طعم الشجن الجميل.

تقول كلمات الكوبليه الأول:

«ياللى ناويين على الجراح.. صعب جدا تجرحونى.. بكرة تتمنوا السـماح تحلموا بنظرة عيونى.. طول عمرى قلبى دايب.. ولا كنتوا فى يوم حبايب».

وقد أعجبنى التعبير الشـعبى الجميل «بكره تتمنوا السماح» وهو تحرير لجملة فلكولورية تقول «بكرة تتمنوا الرضا.. نرضا»

والجملة التى يرجع من خلالها المطرب إلى المذاهب واسمها المرجع هى «والناس ع الطيب بتتعيـب.. لا تسـتغرب ولا تسـتعجب» والحقيقة أن لحن هذه الجملة فـى غاية الركاكة على رغم الإيقاع الداخلى فيها أى الموسـيقية العالية بين «الطيب.. بتعيب.. تسـتغرب.. تستعجب» فالقاقية ساكنة لاتصلح للغناء الممدود الذى يميل إليه جورج وسوف ومن حسن الحـظ أنهـا تؤدى إلى مرجع آخر هو الجملة الأولى فى الأغنية «يا عمرى آه ياقلبى إنس.. دول مش حبايب دول ياما لسه» وبلحنها الجميل.

ولا ينتهى الكلام عن لحن الكوبليه قبل أن نلفت النظر إلى اسـتخدام الكورال فيه فعند إعـادة الجملتين الأوليين فيه يغنى الكورال بدلا مـن المطرب فى مقطع «ياللى ناوين» فى الجملـة الأولى ومقطع «بكـره تتمنوا» فى الجملة الثانية. وغناء الكورال هنا غير مناسـب

إذ أن المعنى ذاتى والجملة اللحنية وحدة متماسكة. تماما كجملتها اللحنية فكيف يغنى الكورال جزءا من جملة؟ ويظهر هذا الحوار الغنائى بين المطرب والكورال أكثر سوءا فى الكوبليه الثانى إذ يغنى «إحنا خدنا» ليكمل المطرب «ع الغياب» وفى الجملةالثانية من نفس الكوبليه يغنى الكورال «قلبى مايعرف» ليكمل المطرب «عذاب» وهو حوار غنائى غير منطقى ولو إنه من الضرورة أن يستخدم الموزع أو المنفذ حوار بين الكورال والمطرب ففى هذه الحالة يكون على المؤلف أن يراعى التطابق الموسيقى للمقطعين الواردين فى بداية جملتى الكوبليهين وإلا فإن المستمع يشعر بركاكة اللحن وركاكة الكلمات أيضا.

والمجهود الذى قام به الموسيقى مازن زوائرى ليس توزيعا موسيقيا إنما هو تنفيذ. فالتوزيع الموسيقى الذى يعرفه العلم هو الهارمونى. أى وضع خطوط موسيقية تتآلف مع الخط اللحنى الأساسى وهو مالم أعثر عليه فى الأغنية وحتى التوزيع الآتى الذى يعنى بإسناد أداء الجمل الموسيقية إلى الآلات، كل حسب إمكاناته والطعم الذى يبرز فيه، حتى هذا النوع من التوزيع الموسيقى لم يحتمله اللحن الشعبى الذى عزفته الآلات التقليدية.

أما التنفيذ فهو رقيق وجميل فيه زخرفة موسيقية مع الجمل الموسيقية. وأثناء الغناء وضع الموزع لمسات جميلة تمهد للزمة الموسيقية قبل بدايتها. كما أسند عزف «نوتة» عند بداية كل مازورة أثناء غناء بعض الجمل.

أغنية «دول مش حبايب» شعبية بها طعم مميز. ويا حبذا لو راعى المؤلف والملحن بعض الأصول فى موسيقى الكلمة واللحن.

زمن العجايب

فى ألبوم «زمن العجايب» لجورج وسوف صورة جديدة للمطرب. فقد كنت أستمع فى صوته إلى أصداء جبلية وروح غنائية لبنانية منذ أن غنى «اللى تعبنا سنين فى هواه» حتى قبل صدور هذا الألبوم وأدهشنى ماسمعت. فقد جنح جورج إلى غناء المطرب الشعبى الكبير محمد عبد المطلب «١٩٠٧-١٩٨٠» الذى كان يعتمد على الصوت المنطلق على طبيعته مع تقطيع للجمل اللحنية ليصبح كبيرها صغيرا سهل الأداء على مطرب بلغ من العمر عتيه. ونال السهر والتعب من نفسه الكثير.

ولـولا عدة لمحـات فى ألبوم جورج لتصورت إنه من إنتـاج الثمانينيات من القرن الماضى. فالأغنية فى موضوعها ومدتها الزمنية. والمقام الذى لحنت منه كلها من علامات العصر الذهبى للغناء العربى عندما كان عبد المطلب أحد الأصوات فى حديقة الغناء العربى الغنّاء.

والأغنية على الرغم من أن فيها شكوى من الأحباب على طريقة غناء الثمانينيات وما قبلها بسنوات قليلة إلا إنها بما تحويه من آهات وآلام تعكس ماتعرض إليه جورج وسوف فى الفترة التى سبقت طرح الألبوم فى الأسواق حيث مر بأزمة صحية وقد تكون نفسية. مما دفع بعض المغرضين لإطلاق إشـاعات خبيثة عنه. فآلمته وظهـرت آثار هذه الآلام فى كلمات أغنية زمن العجايب وأراد أن يعلن غضبه على مادار حوله من إشاعات فاختارها لتكون اسما للألبوم.

الأغنيـة طويلة على الرغم مـن أنها مكونة من مذهب وكوبليهين مثـل كل الأغانى المتداولة حاليـا. ولكن المذهـب طويل والكوبليهاين أطول وكل واحد منهمـا فيه تنويع فى الأوزان ولم يكتبها مؤلفها إبراهيم الدروانى على وتيرة واحدة. أو على تفعيلة بسيطة.

يقـول مطلع الأغنية: لا بالجمال ولا كثر مال.. تمسـح دموع اللى انظلم.. على أى حال يا ابن الحلال هو اللى يصبر على الألم.. أهى دنيا عايشـين فيها وبس.. كل الحباب ولا حتى جواب.. ونا بينى وبين الراحة يومين.. وأعمل أنا إيه.. دا قدرى وبس..

هذا المذهب لحنه من مقام «بياتى» وهو مقام أساسى فى الموسيقى العربية ويحوى ثلاثة أرباع المقام أو النغمة التى تعطى لموسيقانا طابعها الخاص وهو نادر استعماله حاليا. وهذه واحدة من الظواهر التى ربطت هذه الأغنية بغناء الثمانينيات وما قبلها المقدمة الموسـيقية «أدليب» يعنى جملـة بـلا إيقاعات وهى رومانسـية تمهد لآلة العود فى عزف انفـرادى. وذلك أيضا لم يعد يحدث فى الأغانى الحديثة. وأكثر ما يلفت النظر فى لحن هذه الأغنية هو اسـتعمال الملحن إيقاعا عربيا غير مطروق منذ أكثر من ٤٠ سـنة وربما كان آخر من لحن به هو الموسـيقار محمد الموجى أغنية وطنية لوردة تأليف فاروق شوشة اسمها «أحبها»..

المقام هو وزن شرقى اسمه ٨/٦ أى إن المازورة وهى وحدة الإيقاع تحتوى على ست وحدات من الزمن الموسـيقى المسـمى «كروش» زمنه ثمن المازورة وتكون مازورة هذا الإيقاع زمنها سـتة وحدات منه. وقد جاءت المقدمة الرومانسية للأغنية على هذا الإيقاع وعزف البيانو والوتريات جملة رقيقة عذبة وفى غناء المقدمة يتحول الإيقاع إلى المقسـوم عند جملة «كل الأحباب.. ولا حتـى جـواب..» إلى نهاية المذهب. ويتكـرر هذا المقطع فى نهايـة كل كوبليه من كوبليهى

الأغنية. والجزء الذى يتكرر اسمه «الرجع» أو «التسليمة» وهى ضرورة للحبكة الفنية تضمن للأغنية وحدتها المضوية.

وكلمات الكوبليه الأول طويلة وتحتوى جملا ساخرة أو ضاحكة تبعد المستمع عن الخط الدرامى لها وتخرجه من المناخ العام للأغنية، فبينما تشكو الكلمات من الناس والزمن يقول المؤلف فى بعض الجمل «أنا قاعد أعد النجوم الضهر.. م الجرح نسيت كام يوم فى الشهر».. ومقام الكوبليه الثانى يختلف عن المقام العام للأغنية فهو مقام نهاوند مصور على درجة «رى» واسمها فى الموسيقى العربية «دوكاه» ولا يحتوى على ثلاثة أرباع المقام. أما الإيقاع فقد تغير من ٨/٦ والمقسوم إلى «الرومبا» وانتهز الموزع الموسيقى مازن زوائرى الفرصة ليسند مهمة عزف موسيقى هذا الكوبليه إلى آلة نفخ هى الترومبا فترد عليها الوتريات لكن إذا مابدأ الغناء تحول الإيقاع مرة أخرى إلى ٨/٦.

غناء الكوبليه الثانى من طبقة مرتفعة نسبيا لايميل جورج للغناء منها لكن المساحة الزمنية الطويلة للأغنية تفرض على الملحن أن ينتقل بين الطبقات الصوتية والمساحات طلبا للتنويع وتحاشيا للملل.. يبدأ الكوبليه «ع القلوب يا حب دور وأفرش ظلام الدنيا نور.. وتعال عندى.. وشوف ماعندى.. تلاقينى حواليه بلف وأدور».

ويغنى جورج بشجن وطرب، ويعيد هذا الجزء بتصريف غنائى كما لو كان يغنى على مسرح فى حفل جماهيرى من الإيقاع ٨/٦ بعد القيام بجولة فى الإيقاعات خلال لحن الكوبليهات الطويلة أما هذه الجملة فى الكوبليه الأخير فتقول كلماتها «يقولهم دى قمرا.. يقولوا.. شمس.. أهى دنيا عايشين فيها وبس».

ليعود لحن المقسوم أو «المرجع» الذى يربط أوصال الأغنية الطويلة والذى يتمثل فى كلمة «كل الأحباب.. ولا حتى جواب.. إلى نهاية الأغنية».

وكما كانت بداية الأغنية أو مطلعها رومانسيا جاءت نهايتها التى عزفتها الوتريات فى رقة وعذوبة وبإيقاع أبطأ من إيقاع الأغنية ومن مقام يختلف هو مقام «سى» ماجير مع أن الأغنية بدأت بمقام شرقى هو البياتى.

إنها وجهة غنائية مختلفة، نستطيع أن نسمح لأنفسنا أن نعرب عن سعادتنا بها ونقول: والله زمان ياطرب.

□□□